نصوص تطبيقية في مادة النص الأدبي المعاصر.

للسنة الثانية ليسانس دراسات أدبية.

د: جمال سفاري.

– نموذج تطبيقي حول القصة القصيرة.

قصة مصرع ذئب لنجيب الكيلاني.

نبذة عن حياة الأديب نجيب الكيلاني: (01/جويلية/1931م-07 مارس 1995م).

أديب إسلامي مصري. ولد في قرية شرشابة التابعة لمركز زفتى بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية وكان مولده في شهر المحرم 1350 هـ، في اليوم الأول من شهر يونيو 1931م، وكان أول مولود يولد لأبيه وأمه، وعلى غرار عادة أهل الريف في هذا الوقت التحق نجيب الكيلاني بكُتَاب القرية، وعمره أربع سنوات، وظل به حتى السابعة من عمره حيث حفظ معظم أجزاء القرآن وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية طب القصر العيني تخرج فيها سنة 1960 م. يعدها سجن الكيلاني في السجون الحربية زمن عبد الناصر لاتهامه بانتمائه لجماعة الاخوان المسلمون وعذب تعذيبا شديدا وذكر ذلك في مذكراته التي كتبها في 3 أجزاء بعد خروجه من السجن سافر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1968 م وعمل بها كطبيب ثم كمدير للثقافة الصحية ثم رجع إلي موطنه (طنطا)؛ ليخوض معركة شرسة مع مرض سرطان البنكرياس، الذي لم يستمر معه أكثر من ستة أشهر، لقي بعدها ربه بعد عيد الفطر المبارك بيوم واحد، في 02 شوال 1415 هـ – 07 مارس 1995م.

رواياته.

- أول عمل نثري له بالمعتقل سنة 1956م دشنه برواية الطريق الطويل، التي نالت جائزة وزارة التربية والتعليم سنة 1957م ثم قررت للتدريس على طلاب المرحلة الثانوية في الصف الثاني الثانوي عام 1959م .
- رواية اليوم الموعود، عام 1960، التي نالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر في العام نفسه،
- رواية في الظلام نالت نفس الجائزة في العام التالي 1961م.

- رواية قاتل حمزة.
- أهل الحميدية.
- مملكة البلعوطي.
- رواية نور الله.
- ليل وقضبان.
- رجال وذئاب.
- حكاية جاد الله.
- مواكب الأحرار.
- عمر يظهر بالقدس.
- ليالى تركستان.
- عمالقة الشمال.
- أميرة الجبل.
- عذراء جاكرتا [وهي من أفضل رواياته].
- اعترافات عبد المتجلى.
- امرأة عبد المتجلى.
- الكابوس.

و من قصصه:

- عند الرحيل.
- موعدنا غداً.
- العالم الضيق.
- رجال الله.
- فارس هوازن.

- حكايات طبيب.
- الكابوس.

مؤلفاته.

- المجتمع المرضي.
- الإسلام والقوى المضادة.
- الطريق إلى اتحاد إسلامي.
- مدخل إلى الأدب الإسلامي.
- الإسلامية والمذاهب الأدبية.
- آفاق الأدب الإسلامي.
- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق.
- تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية."
- لمحات من حياتي، سيرة ذاتية.
- إقبال الشاعر الثائر.
- شوقي في ركاب الخالدين.
- في رحاب الطب النبوي.

أنموذج من القصة القصيرة:

النص: مصرع الذئب... للدكتور: نجيب الكيلاني.

من منّا لم يكن يعرف (سعد بخيت) ؟! أطفال قريتنا والقرى المجاورة كانوا يرتعدون لمجرد ذكر اسمه، والنسوة يرين فيه مثالا للقسوة والجسارة، ويخفن على أزواجهن منه، والرجال يرددون اسمه في كثير من الرهبة الكل اجتمعوا على الخوف منه، والكراهية الشديدة له، والغريب أنه إذا سار في قرية من قرى المنطقة، أحيط بهالة كبيرة من التقديس والتوقير.

كان الناس يتسابقون إلى مصافحته والترحيب به، وبعضهم يقسم أيمانا مغلّظة أن يتناول القهوة في

بيوتهم، والسعيد الحظ من يتعطف عليه "سعد بخيت" ويزوره في بيته، وإذا حدث ذلك فإن صاحب البيت يرفع رأسه في كبرياء، ويفخر بأن "سعد" قد جلس معه... إنها صورة غريبة تجمع المتناقضات، كراهية وترحيبا، خوفا وإكبارا، وكان "سعد" بدوره صورة أخرى للتناقض بين مظهره ومخبره؛ فهو فاحم الوجه؛ لكنه يبتسم دائما؛ يبتسم في طيبة تبدو كأنها حقيقية، كلماته رقيقة معسولة، فارع العود، قوي البنيان لكنه يبش للأطفال الخائفين منه، ويربت على ظهورهم في حنان وقد يجود عليهم بالملاليم، فكيف يتفق هذا كله مع ما كان يمارسه من سفك للدماء البريئة، كان يجيد إصابة الهدف، لم يقع في قبضة الشرطة متلبسا يوما ما برغم كثيرة ضحاياه، وكان يقتل ويأخذ الثمن في أغلب الأحيان ونادرا ما كان يقتل خصومه الخصوصيين، لأنه لا يعقل أن يعاديه أحد عداء صريحا، لكنه كان يعتبر ظهور أية قوة جديدة عداء صريحا لسلطانه وبطشه؛ فما إن يظهر رجل من رجال القرى المجاورة بمظهر القوة ويدعم مركزه بالسطو أو التهديد أو العدوان حتى يبادر "سعد نجيب" بسحقه، إنه يأبى إلا أن يظل القوة المسيطرة الوحيدة.. وفي الحقيقة إن "سعد بخيت" لم يكن يرتكب كل تلك الجرائم التي تنسب إليه، هناك جرائم تافهة لا يصح أن يرتكبها بل يترك أمرها لبعض خاصته المقربين كل حسب منزلته لديه، وكان المجال الأكبر الذي يصول فيه "سعد" ويجول هو الخلاف بين الأسر الكبيرة التي تتنافس مثلا على منصب "العمدية" أو على عضوية "مجلس النواب" أو التنافس على شراء أرض ليزيد بها الأثرياء رقعة "العِزب" التي يملكونها، إن الصيد في مثل هذه الحالات صيد ثمين، والثمن يكون كبيرا، وقد ينحاز "سعد" لأسرة ثم ينحاز مرة ثانية لخصومها، لأنه لا يعرف الوفاء ولا الصداقة... فهو أحيانا يتصرف حسب هواه.. أو حسب الثمن المقدم إليه.

وفكّر عامة الشعب في قريتنا تفكيرا طويلا في أمر "سعد" لم تستطيع قوة أن تقهره حتى الآن، إذا ما وقع في يد الشرطة –وقلّما يحدث ذلك– لم يجدوا ما يدينه وإذا ضيقوا عليه الخناق تطوع أصحاب النفوذ لإنقاذه، وهكذا عاش "سعد" سلطانا وظل الناس يرزحون تحت أعباء الخوف، ويتحدثون في مجالسهم الخاصة عن هذا الوباء الذي ابتلاهم الله به ويحلمون باليوم الذي يصحون فيه على خبر وفاته، لكن الأيام تمرّ وتنقضي تسع سنوات، و"سعد" باق على عرشه الملوّث بالدم، يذيق الناس الهوان والخوف، وذهب بعضهم إلى "الشيخ عارف" وهو رجل من أولياء الله الصالحين، قال أحدهم:

-يا مولانا لقد طفح الكيل... لماذا لا تقرأ عليه سورة ياسين؟

ويتمتم الشيخ:

-يا ضعيفي الإيمان... أنتم تخافون "سعد" أكثر من خوفكم لله

ويقول آخر:

-إنه لا يعرف الرحمة... ضربته والقبر.

ويرد الشيخ:

-لكن فرعون لم يغرق في بحر كما تتصورون... لقد غرق في ظلمه... كان صغيرا تافها... لكنه تحدى إله موسى... ألا تفهمون؟

ويصمتون، والشيخ يتمتم وأنامله تحرك حبات مسبحته، ثم يهتف في حنق:

-أنتم صانعو هذا العذاب

فيرد أحدهم:

-لم يكن لنا في الأمر حيلة

-كذبتم... من الذي يدفع له؟ من الذي يوجهه إلى الضحايا أو من يتوسط له إذا ما ضاق حول عنقه الخناق؟ تبتسمون في وجهه، وتبيعون له اللحم والمشرب والملبس... أتذكرون القصة الخالدة (جمل السلطان)؟ لا شك أنكم تعرفون، لكن سعد أنساكم كل حكمة، لسوف أرويها لكم مرة أخرى... كان للسلطان جمل عزيز، لكنه كان يتلف محصولات الناس، وهو يرتع في حقلهم... وقرروا أن يرفعوا للسلطان مظلمتهم... تعرفون قسوة السلطان، وارتجف ممثلهم، وهو بين يدي السلطان ليقدم المظلمة، صرخ السلطان: ماذا تريد؟ فشحب وجهه وتلعثم ثم قال: جئنا نناشدك أن تبحث للجمل عن عروس تناسبه! انظروا!

وأخذ الشيخ يجفف عرقه ويقول:

-لكني أؤكد لكم أن "سعدا" سيلقى مصرعه

-متى؟

-عندما تصرعون الخوف الذي يملأ قلوبكم!

وخرجوا من عند الشيخ دون أن يصلوا إلى حل حاسم... الشيخ يتكلم بلغة لا يستطيعون فهمها، ويلقي عليهم التبعة وكأنهم هم القتلة وليس "سعدا"... هم يريدون كلاما واضحا محددا ونتيجة نهائية لهذا العذاب كي ينتهي عهد الخوف والأتاوات والقتل. ومع ذلك فقد بقي "سعد" محوطا بالرهبة والوقار أينما سار وبقيت صلته بحضرة العمدة بالذات على أحسن ما يرام وكان العمدة سعيدا بهذه العلاقة الودية، لأنها –على الأقل–ستكف شره عنه وتجعله في وضع أقوى من منافسيه، وتدعم مركزه في القرية؛ لكن "سعد" يأتي إلى العمدة ذات مساء ويهمس باسما:

–إن لي عندك مطلبا عزيزا يا عمدة

–ومنذ متى رفضت لك طلبا؟ ورجالي تحت أمرك

–إنه شيء غير هذا كله

–لا شك أنه أمر يتعلق بالشرطة

–لا... لا... أنت تعرف أني لا أكترث لأحد

لم يستطع "العمدة" أن يخفي قلقه، وبدت الحيرة في عينه وساد الشحوب جبينه الأسمر، وتمتم:

–يا سعد... اطلب تجد

وقال سعد" في نبرات هادئة:

–أريد ابنتك

وارتعشت شفة العمدة، وكادت الدموع تنبثق من عينيه وصرخ:

–ماذا؟

–أتستكثر علي هذا الشرف؟

–لكن

–تكلم يا عمدة، أترفض أم تقبل؟ طريقتي أن أختصر الطريق، المواقف المائعة تثيرني... ألست ندا لك؟ إنني أملك المال والرجال.

–أنت تعرف يا "سعد"، إن...

-أهو الرفض إذا؟ لا أستطيع أن أرغمك على أمر كهذا... لكن لا تنسى أن كرسي "العمدية" الذي تجلس عليه قد صنعته لك تضحياتي... بقوتي... أنت تعرف، الحياة أخذ وعطاء... وقد أعطيتك الكثير يا "عمدة"، وأريد اليوم أن أتزوج "إنصاف."

كادت الكلمات تحتبس في حلق العمدة ودارت به الأرض. مستحيل أن يتصور أن تصبح "ابنته" في يوم من الأيام بين ذراعي هذا الذئب المتوحش الذي يبلغ الخامسة والأربعين، مستحيل أن تكون "إنصاف" الرقيقة المهذبة زوجة له. إن "العمدة" لو وافق على ذلك لكان مثله كمثل الجلاد... الجلاد الذي يقدّم وحيدته لحبل المشنقة... أي اشمئزاز وتقزز عمرت بهما نفس "العمدة" وهو يقيس "سعد" بنظراته الحائرة الخائفة... لم يكن "العمدة" ينظر إليه إلا نظرته لأداة يسخرها في تحقيق أطماعه، ولا يمكن أن تربطه بهذا الوحش رابطة إنسانية نبيلة... عديد من المشاعر والانفعالات كانت تصطرع في قلب "العمدة"، وأدرك في هذه اللحظات -أكثر من أي وقت مضى-أن "سعدا" كارثة كبرى وبلاء بشع، وصورة مجسمة للانتقام الإلهي، وتمنى العمدة في هذه اللحظات أن يفقد منصبه وماله وسطوته مقابل أن يتخلى "سعد" عن أمنيته الشاذة، ولكن الرفض معناه القتل... معناه الضياع له ولأسرته، ولكل ما يستمتع به في الحياة... فماذا يفعل؟ وجاءه صوت سعد:

-أنا رجل أعرف كيف أسعد النساء... لا تنظر إلى سواد وجهي... فقلبي أبيض كاللبن الحليب... وقد أكون شائك الملمس كالتين الشوكي لكني لذيذ الطعم من الداخل، وأخذ يقهقه قهقهة مزعجة، فقال العمدة:

-لكن إنصاف مخطوبة... أنت تعرف

-الخطبة رباط واه يا عمدة... لم يعقد قرانها بعد

-لكني أعطيت كلمتي كرجل شريف

-إذن فأنت ترفض يا عمدة

-أقصد أن الوضع حرج يا سعد

-سأعطيك فرصة للتفكير، سأعود بعد أسبوع

ارتجت القرية عند سماعها لهذا النبأ أكثر من ارتجاجها لجرائمه العديدة، وبدت "إنصاف" في نظرهم

واحدة من أتعس ضحاياه، ولزم العمدة بيته لا يغادره، وترقّب الناس نتائج هذا الأمر الشائك الخطير، والعمدة -كما يقولون-رجل من الأشراف، وأخذ الشيخ عارف يضحك، ويقول :

-ليس هناك فرق كبير بين عروس جمل السلطان وعروس الذئب سعد

ولأول مرة يتألم الناس، وهم يستعرضون مأساة العمدة، ولعل ألمهم كان أكثر حينما يفكرون في "إنصاف" الفتاة الخجولة الجميلة، صاحبة القلب الطيب، والتي قلّما تقع عليها عين، وكان الجميع يعرفون أنها على جانب كبير من الخلق، وأنها تختلف كثيرا عن أبيها، لكنهم أصيبوا بالذهول عندما راجت شائعة تقول إن "إنصاف" قد قبلت الزواج من "سعد نجيب"، وأخذوا يتساءلون عن سر هذا التصرف الغريب، وزعم البعض أن الفتاة العاقلة قد ضحّت بنفسها من أجل أبيها وحقنا للدماء، وقال آخرون: وماذا ينقص سعد حتى يكون واحدا من أصهار أسرة العمدة، إنه قوي مقتدر، لا يشقى بالفقر.. ولزم العمدة الصمت، ولم يحاول أن يتكلم، لقد هدته المأساة، ولم يعد يسير إلا منكس الرأس، لكن عينيه كانتا تشيان بالكثير من العذاب والذلة، ورأى الناس فيما حدث عقوبة إلهية حاقت بالرجل الذي طالما أنزل بهم المظالم، لكن هذا كله لم يمنع من تألمهم وحزنهم العميق من أجل (الحمامة) التي تقدم نفسها طائعة مختارة بين فكي الوحش.

يا لها من لحظات قاسية!

"إنصاف" تخطر في ثوب الزفاف الأبيض محتقنة العينين، والناس لا يرونه ثوبا للزفاف. بل كفنا يرافقها إلى مقرها الأخير، وأبوها يمضي مهزوما فاغر الفم، ترشقه نظرات المواسين، والحانقين، والشامتين، وأمها تشهق باكية... لكن "سعد نجيب" يقف منتصب القامة في ردائه الصوفي القاتم، وأسنانه الناصعة تسطع بين ظلام وجهه كقنديل محاصر، وابتسامة السعادة ترقص على محياه... والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة.

وانفض السامر.

وعادت القلوب الكسيرة تطوى أساها باكية.

القلوب كلها تدمى من أجل "إنصاف" المحبوبة... و"العمدة" خارت قواه فارتمى في بيته يشهق كأنثى عاجزة... ويشرق الصباح، ويرى الناس منظرا غريبا أمام بيت سعد... إن عروسه تخرج إلى الشارع تزغرد.

ويتجمع الناس ويتساءلون:

-ماذا جرى؟! لا شك أن "إنصاف" قد أصابها مس من الجنون.

لكن "إنصاف" تشير إلى الداخل، فيقف الناس متسمرين، كيف يجسرون على دخول بيت الذئب؟ لكنهم -تحت إلحاحها-يدخلون ويجدون سعدا غارقا في دمائه وقد لفظ أنفاسه الأخيرة، وتعم الأفراح القرية... وتؤخذ "إنصاف" إلى المركز للتحقيق في موكب رائع مقدس... ويتمتم الشيخ عارف:

- مات "سعد" عندما استطاعت امرأة أن تصرع الخوف في قلبها... أرأيتم؟! امرأة شعرت بالمأساة الكبرى من خلال مأساتها الخاصة... فعبرت عن إرادة التعساء.

تحليل النّص.

- **الفكرة:**

تنطلق القصّة من فكرة فحواها ضرورة التّضحية لنيل الحرية، وأنّ الظّلم وإن طال فإن مصيره الفناء والزوال؛ فلولا تضحية إنصاف ما تحرّر أفراد القبيلة.

- **النهاية:**

نهاية القصية (مفتوحة / مغلقة)، حيث يمكن اعتبارها مفتوحة: حين لم يبين القاص نهاية ومصير إنصاف، بعد صرعها لسعد، ومغلقة بلانّظر إلى تخلّص أهل القرية من الظّلم الذي طالهم، وذلك حينما انتهى القاص الى مصرع سعد.

- **الزمان:**

يفترض في الزمن الذي تدور فيه أحداث القصة القصيرة أن يكون محدودا، وألاّ يتجاوز (24 ساعة). وبالنّظر في أحداث القصة التي بين أيدينا نجد أنّ زمنها يستطيل لأكثر من ذلك بقليل، ولكن ذلك لا يخرجها عن نطاق القصة القصيرة؛ ومحدودية الزمن فيها.

فالزمن الحقيقي للقصة يبدأ من الحدث الذي يتقدم فيه سعد لخطبة إنصاف، وهو ما يوازي الأسبوع (تقريبا) على أقصى حد؛ ويمكن أن يكون أقل من ذلك؛ لأن إنصاف لم تستغرق كثيرا في التفكير للموافقة على الزواج.

مع ملاحظة أن بالقصة ذكرٌ لأزمنة طويلة، كقوله: " تنقضي تسع سنوات وسعد باقٍ على

عرشه الملوث بالدم"، وقوله "سأعطيك فرصه للتفكير سأعود بعد أسبوع". غير أنّ ذلك يدخل ضمن استرجاع القاص لأحداث مضت، وهي حيلة فنية لاختزال الوقت وتكثيف الأحداث.

- **المكان:**

يشترط في المكان الذي تدور فيه أحداث القصة القصيرة المحدودية كذلك، وهو ما يتجسّد في هذه القصة، وقد توزّعت بين أماكن مغلقة، مثل: بيت سعد، بيت العمدة، (وهما المكانان الرّئيسان اللذان دارت فيهما الأحداث)، إضافة على المسجد. وبين أماكن مفتوحة، مثل: ذكره شوارع القرية.

- **الحدث:**

تميّزت القصة بوحدة الحدث، من محافظة القاص على فكرة واحدة للقصة، ومن انتقائه لأحداثها الرئيسة بتركيز، وتكثيف كبيرين، ومن ذلك ذكره لموافقة إنصاف على الزواج من سعد دون عرض تفاصيل الصّراع الدّاخلي لديها؛ وكذا قتل إنصاف لسعد دون ذكر التفاصيل التي دارت في بيت سعد، أو كيفية القتل وأداته...الخ.

غير أنّنا نلحظ بعض الإطناب حين ذكرت القصة تفاصيل عن حياة سعد في القرية، وقصة أصحاب القرية مع السلطان وجمله، غير أننا نعتبر ذلك داخلا ضمن إطار تهيئة المتلقي من خلال عقد تلك المقارنات الدّلالية، لتمكنه من إجراء إسقاطات تجعله يقبل النهاية التي يرتضيها، وتبلغه الهدف المرجو من القصة. وبالتّالي يمكن القول بأن هذه الأحداث خدمت الحدث الأساس في القصة.

- **الشخصيات:**

شخصيات القصة معدودة، وقد تنوّعت بين شخصيات رئيسة، وهي: سعد بخيت، العمدة، وإنصاف؛ وشخصيات ثانوية: كالشيخ عارف. كما يمكن تسجيل أن بعضا منها كان ناميا: كنمو شخصية إنصاف، وتبدّلها من حال الوداعة، والخوف إلى حال الشّجاعة، والشّراسة؛ في حين اتسمت شخصيات بالاستقرار، والثبات، كشخصيات: سعد، والعمدة، وأهل القرية،

والشيخ عارف.

وقد اعتمد القاص، من جهة أخرى، البناءَ المادي لشخصياته، فقد تعرفنا على شخصية سعد (مثلا) من أوصاف مادية: العمر، اللّون، القامة، والقد... وهو ما خدم الأحداث حيث جعلنا نتعاطف مع إنصاف ونمج سعدا، وتصرفاته، ونرفضه. وهو ما حقّق تفاعلا ايجابيا مع نهاية تلك الأحداث.

سيمائية الشّخصيات: انتقى القاص اسما لكلّ شخصية من شخصيات القصّة يعكس طبيعتها، وأبعادها النّفسية؛ فكان لكلّ شخصية حظ من اسمه؛ فإنصاف أنصفت الجميع، وخلّصتهم من بطش سعد، والشّيخ عارف كان عارفا بسنن حياتية، وبأحكام الدين، وبالقصص التراثية... وأمّا سعد بخيت، فهو-لخوف أهل القرية وجبنهم-سعيد مبخوت بينهم.

- الصّراع:

تنوّع الصّراع في القصّة بين صراع داخلي كالذي نتمثّله في نفسية إنصاف والعمدة (لمّا تقدّم سعد لخطبة إنصاف)، وصراع خارجي بين الحق والباطل (سعد وأهل القرية).

-اللّغة:

اعتمد القاص على لغة بسيطة، ولكّنها عربية فصيحة (بخلاف ما يعتمده بعض القصاص من توظيفهم العامية...)، وإذا كان السّرد غالبا على تلك اللّغة، فإنّنا نلفي تسلّلا للحوار في بعض الأحيان، وقد كان ملائما لطبيعة الشّخصيات.

- مدخل القصّة:

- صوّر المدخل بنية اجتماعية تتميّز بالنّفاق ومجاملة القويّ، واستضعاف النّاس.

- تضمّن المدخل التّساؤل: من منّا لا يعرف سعد...؟ ليدلّل به على شهرته ويضعنا في سياق العارفين له، كذلك.

- انتقل بعد ذلك إلى تصوير البنية الجسدية لسعد، والتي جمعت تناقضات جمّة، وهي مناسبة في سرد القصّة وسيرها عموما.

- تتراءى من خلال القصّة خصال وخصائص المجتمع المصري آنذاك: من فساد سياسي، الخوف من القوي، التّنافس على المناصب، صوت الحكمة خافت....